

فقه اللغة

- قال الجاحظ :

للعرب إقدام على الكلام ثقة بفهم المخاطب من أصحابهم عنهم كما جوّزوا قوله : أكله الأسود وإنّما يذهبون إلى الذّهِش واللدغ والعضّ وأكل المال وإنّما يذهبون إلى الإفناء كما قال ابن عزّ وجلّ : " إنّ الذين يَأْكُلُونَ أموالَ اليَتَامَى ظُلْمًا " إنّما يَأْكُلُونَ في بَطُونِهِمْ نارًا وسيَصْهَلُونَ سَعِيرًا .

ولعلّهم شربوا بتلك الأموال الأنبذة ولبسوا الحلل وركبوا الهماليج ولم ينفقوا منها درهما في سبيل ابن إنما أُكِلَ .

وجوّزوا : أَكَلَتْهُ الذّار وإنّما أُبطلت عينه .

وجوّزوا أيضًا أن يقولوا : ذُقت لما ليس يُطعم وهو قول الرجل إذا بالغ في عقوبة عبده : ذُق وكيف ذقته ؟ أي وجدت طعمه . قال ابن عزّ وجلّ : " ذُقْ إِنْكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ " وقال عزّ من قائل : " فأذاقها ابنُ لبّاسِ الجُوعِ والخَوْفِ بما كانوا يَصْنَعُونَ " وقال تعالى : " فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ " . ثم قالوا : طَعِمْتَ لغير الطعام كما قال المَرَجِيّ :

فإن شئتُ حَرَّمْتُ النساءَ سِوَاكُمْ ... وإن شئتُ لم أَطْعَمْ نُقَاخًا ولا بَرْدًا .
قال ابن تعالى : " فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي ومن لم يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي " يريد : ومن لم يذق طعمه . ولما قال خالد بن عبد الله في هزيمة له : أَطْعَمُونِي ماء قال الشاعر :

بَلَّ السَّارَاوِيلَ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ دَهَشٍ ... واستَطْعَمَ الماءَ لما جَدَّ في الهَرَبِ .

فبلغ ذلك الحجاج فقال : ما أيسر ما تَعَلَّقَ فيه يا ابن أخي أليس ابن تعالى يقول :
فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي ومن لم يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي .
قال الجاحظ : في قوله تعالى : " إنّ ابنَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا ما بَعُوضَةٌ فما فوقها " يريد فما دونها وهو كقول القائل : فلان أسفل الناس فتقول : وفوق ذلك تضع قولك (فوق) مكان قولهم : هو شرُّ من ذلك . وقال الفَرَّاء : فما فوقها في الصَّغَرِ وابن أعلم .

قال المُبَرِّد : من الآيات التي ربما يَغْلَطُ في مجازها النحويون قول ابن تعالى : " فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ " والشهر لا يغيب عن أحد . ومجاز الآية :

فمن كان منكم شاهد بلدة في الشهرَ فليصمه والتقدير : فمن كان شاهدا في شهر رمضان
فليصمه ونصب (الشهرَ) لل ظرف لا نصب المفعول